



روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

العين الثالثة

٤٤



رجل المستحيل • العين الثالثة • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

بإسفل

www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ب. ٩٠٠٠٠٠ القاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٤٤

التمن في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكيًا في سائر
الدول العربية
والعالم

العين الثالثة

- ترى .. ماذا تعنى كلمة (عين) فى لغة المخابرات ؟
- ماسر انتقال (أدهم) و (منى) إلى تلوج روسيا القاسية ؟
- ترى .. أينجح (أدهم صبرى) فى إقتصاص (العين الثالثة) ، أم تنتهى مغامراته وسط الثلوج ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : القضبان الجلدية

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١ - إلى الشروق ..

لمع البريق في سماء مصر ، التى تلبّدت بالغيوم ، وانهمرت منها الأمطار في الأسبوع الأخير من ديسمبر ، خلال واحدة من أشد الموجات الباردة ، التى هبّت رياحها على جمهورية مصر العربية ..

ووسط الأمطار الباردة ، المنهمرة كالسيول ، عبّرت سيارة (أدهم صبرى) ، و (منى توفيق) بوابة مبنى المخابرات العامة المصرية ، وقالت (منى) فى ضيق ، وهى تضم أطراف معطفها الثقيل ، لتؤمن بهض الدفء لجسدها الضئيل :
— ياله من يوم !! لولا استدعاء سيادة المدير لنا ، ما فكرت فى مغادرة فراشى قط .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— تذكّرى يا عزيزتى أن المدير أيضاً قد غادر فراشه إلى هنا ، فى الجو نفسه .

غمغمت فى حنق :

— نعم .. فى سياره مكيفه الهواء ، و الى مكتب مماثل .

ضحك (أدهم) وهو يوقف سيارته ، ويهبط منها بصحبه (منى) ، وأسرع الاثنان الى داخل مبنى المخابرات ، وصعدا درجات السلم الى حجرة مدير المخابرات المصريه ، الذى استقبلهما فى اهتمام ، مع نائبه الجديد ، الذى صافح (أدهم) فى حراة ، وقال :

— أنت إذن (ن — ١) ، الذى يطلقون عليه اسم (رجل المستحيل) .

ابتسم (أدهم) ابتسامه هادئة ، وهو يقول :

— أعتقد ذلك يا سيدى .

انزعهما مدير المخابرات من حديثهما ، قائلاً فى اهتمام :

— هل علمت بقصة شبكة الجاسوسية ، التى تم ضبطها

بمصر فى الأسبوع الماضى يا (ن — ١) ؟

أجابه (أدهم) باهتمام مماثل ، وهو ينزع معطفه الثقيل :

— لقد ألقى المباحث العامة القبض على جاسوسين

! —

قاطع مدير المخابرات فى جدية :

— ولقد فرّ الثالث ، قبل أن يتم كشف الشبكة بأكملها ،

وهو أخطر أفرادها ، أو بمعنى أدق هو زعيمها .

هتف (أدهم) و (منى) فى آن واحد :

— فرّ ؟!

أوما مدير المخابرات برأسه إيجاباً فى ضيق ، وقال :

— لقد فرّ بجواز سفر مزور ، على أول طائرة غادرت القاهرة ، قبيل لحظات من الإيقاع بالشبكة .

سأله (أدهم) فى قلق :

— هل يحمل معه بعض المعلومات السرية ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

— لا .. ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير .

ثم التفت الى (منى) ، وقال :

— أعتقد أن معطفك الثقيل لا يناسب جو الحجرة الدافئ

أيّتها النقيب .

انتبهت (منى) الى أنها لا تزال ترتدى معطف المطر

الثقيل ، فأسرعت تنزعه وهى تغمغم :

— معذرة يا سيدى ، ولكن الجو بالخارج شديد البرودة

و

قاطعها (أدهم) ، وهو يسأل مدير المخابرات فى اهتمام :

— أين تكمن الخطورة يا سيدى ؟

أشار مدير المخابرات إلى نائبه الجديد ، وقال :

— سيشرح لكما العميد (شوقي) تفاصيل الأمر ، فهو الذى ألقى القبض على الشبكة كلها ، فى أثناء رئاسته للمباحث العامة ، وقبل انتقاله للعمل بيننا هذا الصباح .

التفت عينا (أدهم) و (منى) إلى العميد (شوقي) ، الذى تنحج ، وقال :

— أنتم تعلمان أن كلمة جاسوس تطلق دائماً على العميل الذى ينقل أسرار بلده إلى بلد عدو ، أما العميل الأجنبى ، الذى يبحث عن معلومات ، فنطلق عليه اسم (عين) .. وتلك الشبكة التى ألقينا القبض عليها كانت تتكوّن من ثلاث عيون ، وسبعة جواسيس .. ولقد قادتنا تحريّاتنا إلى كشف الشبكة بأكملها ، وأعددنا بالفعل خطة ماهرة ، لإلقاء القبض على أفرادها جميعاً فى لحظة واحدة .. وفى أثناء تنفيذ الخطة سقط عينا والجواسيس السبعة ، واختفت (العين الثالثة) تماماً .

غمغمت (منى) :

— العين الثالثة ؟!

تمم مدير المخابرات ، وهو يلوح بكفه فى ضجر :

— هذا هو الاسم الكودى لتلك المهمة .

ابتسم العميد (شوقي) ، ثم عاد يستطرد :

— لقد كان (العين الثالثة) يعمل هنا ، فى أحد البنوك الأجنبية ، تحت اسم (أندريه جريج) .. ولقد غادر القاهرة فجأة .. بجواز سفر مزور ، إلى منطقة عمله الأصلية ، قبل إلقاء القبض على الشبكة بساعة واحدة

غمغم (أدهم) ، وكأنه يتساءل عن بعض التفاصيل :

— منطقة عمله الأصلية ؟!

ظهر شبح ابتسامة على شفתי العميد (شوقي) ، وهو يقول :

— يبدو أن هذا يحتاج إلى مزيد من التفاصيل .

ثم اعتدل مستطرداً فى لهجة قوية :

— لم تكن هذه الشبكة تتبع (الموساد) كما تصوّر البعض ، ولكنها تتبع أشهر منظمة عالمية للتجسس التجارى . وأردف فى بطاء :

— منظمة (سكوريون) .

أطلقت (منى) صيحة دهشة ، على حين رفع (أدهم)

حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يتسم فى سخرية ، ويغمغم :

— خصومنا القدامى إذن !

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— أنت خصمهم اللدود يا (ن — ١) ، لقد حطمت
غطرتهم أكثر من مرة .

هتف العميد (شوقي) في حرارة :

— لقد قرأت الملفات السريّة الخاصة بذلك ، ولقد كنت
رائعاً يا (ن — ١) .

ابتسم (أدهم) وقال :

— شكراً يا سيّدى .

ثم عادت ملامحه إلى جدّيتها ، وهو يردف :

— ولكننى لم أعرف بعد مدى الخطورة في هروب هذا
الرجل .

قال العميد (شوقي) :

— تكمن الخطورة في أنه الرجل الوحيد ، الذى يعلم كل
شئ عن الشبكة ، وعن أفرادها الذين ربما لم نتوصّل إليهم
يا (ن — ١) ؛ لذا فنحن في أشد الحاجة إلى استعادته .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم :

— استعادته ؟!

أوما العميد (شوقي) برأسه ، وقال :

— نعم يا (ن — ١) .. إعادته إلى القاهرة ، وبحالة
تسمح باستجوابه ، وإلا ظللنا نخشى وجود فرع آخر للشبكة
طوال الوقت .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (منى) :

— هل لدينا مزيد من المعلومات عنه يا سيّدى ؟

قال العميد (شوقي) :

— نعم أيتها النقيب .. إنه يرأس إحدى الشركات الخاصة ،
التي نشأت مؤخراً بعد اتفاقية الوفاق الأخيرة ، و
قاطعته (منى) ، وهى تهتف فى دهشة :

— اتفاقية الوفاق ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— هذا هو أصعب جزء فى المهمة فى الواقع أيتها النقيب ،
ولقد ادخرناه إلى النهاية .

التقط العميد (شوقي) طرف الحديث ، وابتسم فيما يشبه
الاعتذار ، وهو يقول :

— نعم أيها السادة ، إن مهمتكما هى القبض على (أندريه
جريج) وإحضاره حياً معافى من

صمت لحظة ، ثم أردف فى بطاء :

— من (موسكو) .

أطلق (أدهم) صفيراً طويلاً من بين شفتيه ، على حين
قفزت إلى رأس (منى) صورة قائمة لثلوج لا نهاية لها ، وانتابتها
رجفة وهي تهتف :

— يا إلهي !! (موسكو) ؟. في مثل هذا الوقت من
السنة ؟

ضحك مدير المخابرات ، وهو يقول :

— نعم أيتها النقيب ، ستذهبان إلى (موسكو) رأساً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— الذهاب لا يقلقني ياسيدى ، ولكنها العودة ..

ثم اتسعت ابتسامته ، وشملتها بعض السخرية ، وهو يردف

في هدوء شديد :

— وحرصاً على أموال المخابرات ، أقترح أن أحصل وزميلتى

على تذكرة بلا عودة .. إلى (موسكو) .

٢ — بلا عودة ..

— ثلاثون تحت الصفر ؟!.. يا إلهي !! وأنا التى كنت
أرتجف برداً فى مصر .

هتفت (منى) بهذه العبارة فى سخط ، وهى تتطلع من
نافذة الفندق الضخم ، إلى الثلوج الكثيفة ، التى تغطى كل
شبر من مدينة (موسكو) ، وأطلق (أدهم) ضحكة
خافتة ، ثم أشار بسبابته ، قائلاً :

— حذار يا عزيزتى ، فالسوفييت لن يعجبهم سخطك على
طقسهم .

زفرت (منى) فى ضيق ، وقالت :

— وماذا يعنيتهم من سخطى على طقسهم ؟.. وماذا

لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ و

قفز (أدهم) فجأة ، وأحاط فمها بكفه ؛ لينعها من
مواصلة الحديث ، ثم قال فى لهجة بدت لها شديدة المرح :

— هل سنقضى وقتنا كله فى الفندق يا عزيزتى ؟.. دعينا

لمشاهدة استعدادات عيد الميلاد فى (موسكو) .

تطلعت إليه (منى) في دهشة ، وغمغمت في استسلام :
— حسنًا .. هيّا بنا .

ارتجفت (منى) وهي تسير إلى جوار (أدهم) ، وسط
ثلوج (موسكو) الكثيفة ، على الرغم من معطفها الفراء
الثقيل ، الذى تتدثر به ، وغمغمت في حنق :
— أهذا وقت الخروج إلى الطريق ؟ إن أنفاسى تتجمد قبل
أن تغادر شفتى .

ابتسم (أدهم) ، وقال :
— كان لابد لنا من ذلك ، قبل أن تشرحنى خُطَّتنا كلها
للسوفيت يا عزيزتى .

توقفت (منى) بغتة ، وسأله في حنق :
— هل لك أن تشرح لى معنى ذلك ؟
جذبها من معصمها ، ليحضنها على مواصلة السير ، وهو
يقول ضاحكًا :

— لا تتوقفى يا عزيزتى ، وإلا تجمدت بردًا .

ثم أردف في جدية :

— لا تجعلى سياسة الوفاق تخدعك يا عزيزتى .. صحيح أن

الاتحاد السوفيتى يتظاهر اليوم باتخاذ سياسة أكثر انفتاحًا ،
ليبرهن على حسن نواياه تجاه الغرب ، ولكن هذا مجرد إطار
خارجى ، أما الصورة نفسها ، فلم تتبدل مطلقًا .

سأله في اهتمام :

— ماذا تعنى ؟

ابتسم وهو يقول :

— هل تذكرين مهمتنا السابقة في موسكو ؟ .. (*) إننا لم
نستطع القدوم — حينذاك — إلا من خلال فوج سياحى ، أما
الآن فالاتحاد السوفيتى يرحب بالسائحين ، ولكنه ما زال يعتبر
كلًا منهم جاسوسًا ، حتى يثبت العكس .. وبناءً على ذلك ،
رُوِّدَتْ حجرات الفندق كلها بأجهزة التنصت ، كما وضع
السوفيت فى كل حجرة خطأ تليفونيًا منفصلًا ، حتى يمكن
مراقبتها جميعًا .

غمغمت (منى) في دهشة :

— يا إلهى !!

مطّ (أدهم) شففيه ، وقال :

— السوفيت أحرار فيما يتعلق بوسائل أمنهم يا عزيزتى ،

(*) راجع قصة (الجليد الدامى) .. المغامرة رقم (٥) .

ولا تنسى ذلك الصراع المستميت بينهم وبين الغرب ، على
زعامة العالم ، ثم إنهم في أعماقهم شعب مكافح صنيدي ، وهم
في الواقع يثيرون إعجابى بصلابتهم .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قالت (منى) :

— ماذا عن (أندريه جريج) ؟

تنهّد (أدهم) ، وقال :

— إنه يرأس شركة لتوريد القمح إلى الاتحاد السوفيتى ، وهم
يعاملونه هنا كأجنى ، ولكنهم يهادنونه ، ويظهرون له الودّ ،
نظراً لخطورة منصبه بالنسبة لاحتياجاتهم إلى القمح .

سأله :

— وكيف نستطيع الحصول عليه ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— سندفعه إلى التوسّل لنا ، أن نصطحبه معنا إلى القاهرة

يا عزيزتى .

سأله في دهشة بالغة :

— كيف ؟

ابتسم في غموض وهو يقول :

— سترين يا عزيزتى .. سترين .

اعتدل الرفيق (ياكوف) رئيس قسم مكافحة التجسس ،
وألقى نظرة فاحصة مدققة ، على الجندى الذى وقف أمامه فى
احترام ، مؤدّياً التحية العسكرية على نحو مفرط فى التبجيل ، ثم
سأله فى هدوء لا يخلو من الحزم :

— ماذا وراءك يارفيق (كلانوفسكى) ؟

تنحنح (كلانوفسكى) ، وقال :

— لدى رسالة شفوية ، من قسم التصنّت على الغرباء أياها
الرفيق الجنرال .

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— إلىّ بها .

قال (كلانوفسكى) بلهجة آليّة :

— وصل إلى الفندق الكبير رجل وامرأة مصريان ، ولقد

قالت المرأة فى أثناء حديثهما معاً : « ماذا سيفعل السوفيت

لو علموا طبيعة مهمتنا ؟ » ، ولكن الرجل قاطعها على نحو مشير

للشك ، وهو يقول فى لهجة مرحة : « دَعِينَا نخرج لمشاهدة

استعدادات أعياد الميلاد يا عزيزتى » .

برقت عينا (ياكوف) ، وظهر الاهتمام واضحاً فى ملامحه ،

وهو يقول :

— طبيعة مهمتهما ؟

قال (كلانوفسكى) :

— نعم يا سيدى الرفيق .

ساد الصمت لحظة ، ثم افتر ثغر (ياكوف) عن ابتسامة واسعة ، تشبه ابتسامة القط ، حينما يكتشف وجود فريسته على بعد خطوات قليلة منه ، وقال :

— لهما مهمة فى وطننا إذن !!

ثم عاد يعقد حاجبيه ، ويقول وكأنما يحدث نفسه :

— ولكن علاقاتنا بمصر جيدة ، وهم لا يعتمدون مطلقا إلى التجسس علينا .

عاد الصمت يسود لحظة ، ثم نهض (ياكوف) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وقد شفت ملامحه عن تفكير عميق ، ثم لم يلبث أن قال فى هدوء :

— أحطهما بمزيد من المراقبة يارفيق (كلانوفسكى) .. وعند أول بادرة شك ، سنرسلهما فى طرد مضمون إلى (سييريا) ، كهدية عيد ميلاد .

٣ — التَّحْدَى ..

رفع (أندريه جريج) عينيه الزرقاوين ، يتأمل فى (أدهم) بنظرة فاحصة ، ثم أزاح خصلة نافرة من شعره الأشقر الناعم ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يلقي نظرة سريعة على (منى) ، وقال :

— هل لى أن أتشرَّف بمعرفة سبب هذه الزيارة ، ياسيد

أجاب (أدهم) فى هدوء :

— (أشرف صابر) .. مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، وهذه زوجتى السيِّدة (منى توفيق) .

بدت ابتسامة (أندريه) غامضة ، وهو يقول :

— هكذا ؟! .. وماذا تريد منى وزارة الزراعة المصرية ياسيد (أشرف) ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

— نريد عقد صفقة ، لتوريد عشرة آلاف طن قمح إلى مصر .

رفع (أندريه) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وابتسم في خبث وهو يقول :

— عجباً !!.. ولماذا لم ترسلك وزارة الزراعة المصرية إلى الشركة الأم في الولايات المتحدة الأمريكية ؟.. إننى هنا مجرد مدير مكتب محدود المسئولية و....

قاطعته (أدهم) في هدوء :

— ستحصل على عمولتك بالطبع .

تطلع إليهما (أندريه) بنظرات باردة ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة مأكرة ، ومال نحوهما قائلاً :

— إنها لا تبدو لى خُطةً محبوكة ياسيد (أدهم) .

رفعت (منى) حاجبيها في دهشة ، حينما خاطب الرجل (أدهم) باسمه ، ولكن (أدهم) ظلَّ هادئاً ، وهو يقول :

— لقد فضّلت أن أبدأ بها ، بدلاً من كشف الأوراق كلها دفعة واحدة أيها الوغد .

أطلق (أندريه) ضحكة قصيرة ، وقال وهو يشير إلى وجه (أدهم) :

— إنك حتى لم تبدل ملامحك كعادتك ياسيد (أدهم) .. هل نسيت أن كل فرد في (سكوريون) يحفظ ملامحك عن ظهر قلب ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי (أدهم) ، وقال :

— يبدو أنك لا تخشى أجهزة التصنت السوفيتية أيها الوغد .

ضحك (أندريه) في خبث ، وقال :

— لقد أبطنا مفعولها كلها ياسيد (أدهم) .

ثم أردف في لهجة متفاخرة :

— إن (سكوريون) منظمة قوية ، تمتلك تكنولوجيا متطورة ياسيد (أدهم) .. ولن أكون مبالغاً ، لو قلت إنها تفوق كل أجهزة الاستخبارات في العالم أجمع .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، على حين عاد (أندريه) يميل نحوه ، قائلاً في صرامة :

— ماذا تريد بالضبط ياسيد (أدهم) ؟

اعتدل (أدهم) في مقعده ، وقال في هدوء :

— أريد منك أن تعود معنا إلى القاهرة ياسيد (أندريه) .

حدّق (أندريه) في وجه (أدهم) بدهشة ، على حين

تطلّعت (منى) إلى (أدهم) في حيرة ، دون أن تفهم سرَّ هذه

المصارحة العجيبة ، وبعد فترة قصيرة من الدهشة ضحك

(أندريه) في توتر ، وقال :

هل تتصور أن أطيعك ياسيد (أدهم) ؟ .. هل تظن أنني أخشاك كما يفعل البعض ؟

قال (أدهم) في هدوء ، ودون أن تفارق الابتسامة شفثيه :

— سأدفعك دفعا إلى ذلك .

بدت عبارة (أدهم) مفعمة بالتحدي ، حتى أن ملاح (أندريه) امتلأت بالغضب ، وهو يقول :

— هل تراهن ؟

وبهدوء شديد ، وبنفس الابتسامة الساخرة ، قال (أدهم) :

— أراهن .

مال (أندريه) نحوه ، وقال في تحد :

— إذا نجحت في دفعي إلى العودة معكما إلى القاهرة ، فسأدلى باعتراف صريح دون مناقشة ، فور وضع قدمي على الأراضي المصرية .

ثم ابتسم في تحد ، وأردف :

— وإذا فشلت في دفعي إلى ذلك خلال أسبوع واحد ، فسأعمل على إرسالكما إلى (سيبريا) .

نهض (أدهم) ، وقال في تحد :

— اتفقنا .

نهض (أندريه) بدوره ، ومدّ يده ليصافح (أدهم) ، ولكن (أدهم) ابتسم في سخرية ، وقال :

— لم أعتد مصافحة الأوغاد .

ثم أمسك معصم (مني) ، التي لم يفارقها الدهول بعد ، واتجه إلى باب الخروج ، ولكن (أندريه) أوقفه ، قائلاً :

— مهلاً يارجل المخابرات المصرية .

استدار (أدهم) و (مني) في هدوء ، فطالعهما مسدس صغير يصوبه إليهما (أندريه) ، وهو يردف في غضب :

— ماذا يمنعني من قتلكما الآن ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— لأن مسدسك غير مزود بكاتم للصوت ، وورصاصة واحدة في (موسكو) ، يكفي صوتها لإحاطة المدينة كلها برجال الأمن ، ثم إن إخراج جثتي من هنا يكاد يكون مستحيلاً .. فلا ريب أن سلطات (موسكو) تراقبك طوال الأربع والعشرين ساعة يومياً ، بعد أن أبطلت مفعول أجهزة التصنت الخاصة بهم .

احتقن وجه (أندريه) غضبًا ، وقال وهو يلقي مسدسه في
درج مكتبه :

— أسبوع واحد يا سيد (أدهم) .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— ستطأ قدمك أرض مصر قبل نهايته أيها الوغد .

ازداد احتقان وجه (أندريه) ، وهو يراقب مغادرة
(أدهم) و (منى) لحجرته ، ثم ضغط زرًا صغيرًا ، مخفيًا
بمهارة في ركن مكتبه ، فدلف إلى حجرته رجل طويل القامة ،
قوى الجسم ، بادره (أندريه) ، قائلاً :

— هل سمعت حديثًا يا (هيرمان) ؟

غمغم (هيرمان) في ضيق :

— سمعته ، ولم يعجبني يا مستر (أندريه) .

ابتسم (أندريه) ، وقال وهو يرفع سماعة الهاتف :

— ولكنني أعتقد أنه سيعجب الرفيق (ياكوف) كثيرًا .

عقد (هيرمان) حاجبيه ، وغمغم وهو يرقب (أندريه) ،

الذي يدير قرص الهاتف :

— أظنني سمعتك تقول أسبوعًا كاملاً !

ضحك (أندريه) ، وقال :

— القواعد وضعت لنخرقها يا عزيزي (هيرمان) .

ثم رسم على شفثيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول في الهاتف :

— كيف حالك يا عزيزي الرفيق (ياكوف) ؟ .. أنا

(أندريه جريج) ، من شركة القمح الغربية ، لدى هنا أخبار

سيسيل لها ألعابك .



٤ - وبدأت المطاردة ..

سارت (منى) إلى جوار (أدهم) وسط الثلوج صامتة ،
ولم يكد الاثنان يبتعدان عن شركة القمح الغربية ، حتى هتفت
في حَنَق :

— لست أفهم سببًا لهذا التحدى العجيب ، إنك تزيد
الأمر تعقيدًا .

ابتسم وهو يقول في هدوء :

— امنحيني ثقتك يا عزيزتى .

هتفت في غضب :

— امنحنى أنت ثقتك أولاً ، ودغنى أفهم ما ترمى إليه

و....

وبترت عبارتها فجأة ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!.. هناك رجلان يتبعاننا ، منذ مغادرتنا

الشركة يا (أدهم) .

أجابها فى هدوء :

— أنت قوية الملاحظة يا عزيزتى ، ولكن فأتك أنهما يتعقباننا
قبل دخولنا أيضًا .

ازداد وجهها شحوبًا ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— سيزداد الأمر صعوبة ، بعد أن يبلغ (أندريه) مكتب

مكافحة التجسس السوفيتى عنا يا عزيزتى .

سألته وهى ترتعد بردًا ، وخوفًا :

— وهل سيفعل ؟

أجابها فى هدوء :

— بالطبع يا عزيزتى .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم هتفت فى غضب :

— لماذا دفعته إلى ذلك إذن ؟

جذبها من ذراعها فجأة إلى شارع جانبى ، خال من المارة ،

وازدادت سرعته وهو يتحرك داخله ، على حين اضطرت هى

للعدو خلفه ، وهى تهتف :

— ماذا نفعل ؟

أوقفها فجأة ، ثم ترك ذراعها ، وعاد أدراجه فى سرعة إلى

مدخل الشارع الجانبي .. ولم يكد يصل إليه ، حتى ظهر
الرجلان اللذان يتبعانها ، وهما يعدوان ، خشية أن تفلت منهما
الطريدتان .. ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة (أدهم)
الساخرة ، حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما ،
وهنا قال (أدهم) بالروسية :
— لا أسلحة أيها الرفاق .

كانت لهجته الروسية سليمة ، حتى أن أصابع الرجلين
تجمدت فجأة ، على مقبض مسدسيهما ، وقد ظنا أنهما
يواجهان أحد مواطنيهما .. وفي لحظة التجمد هذه ، انبعثت
حرارة القتال في جسد (أدهم) ..

انطلقت قبضة (أدهم) إلى فك الرجل الأول في قوة ، ألقته
أرضاً ، في نفس اللحظة التي غاصت فيها قدمه في معدة
الثاني .. وقبل أن ينهض الرجلان القويان لمواصلة القتال ،
عادت قبضة (أدهم) اليمنى ترتطم بأنف الأول ، وهوت
قبضته اليسرى على فك الثاني ، وانتهى القتال في لحظات ..
التقط (أدهم) مسدسي الرجلين بسرعة ، ثم ناول أحدهما
إلى (منى) ، وقال في لهجة متعكئة :

— ها قد حصلنا على سلاحين يا عزيزتي .



ولم يكد كل منهما يلمح ابتسامة (أدهم) الساخرة
حتى توقفا فجأة ، وامتدت أيديهما إلى معاطفهما ..

ثم التقط يدها ، وأسرع بها إلى نهاية الشارع ، وهي تهتف
في حنق :

— إنك تزيد الأمور تشابكًا وتعقيدًا يا (أدهم) .

قال وهو ينحنى بها إلى طريق آخر رئيسي :

— اطمئني يا عزيزتي .. هذا هو ما أسعى إليه بالضبط .
توقفت بغتة ، وجذبت ذراعها من يده في قوة ، وقالت في
صرامة :

— تسعى لأن نصبح مطاردين في روسيا بأكملها !؟

ارتسمت على شفثيه ابتسامة غامضة ، وقال في هدوء :

— نعم يا عزيزتي ، وهذا لا يقلقني .. فما هي إلا ساعة
واحدة ، ويختفى (أشرف صابر) و (منى توفيق) من روسيا
تمامًا .

أغلق (ياكوف) سماعة الهاتف ، وشبك أصابع كفيه
أمام وجهه ، وعقد حاجبيه وقد ارتسمت في ملامحه دلائل
التفكير العميق ، فسأله زميل مكتبه (أيقانوف) :

— ماذا حدث يا رفيق (ياكوف) ؟

تطلع إليه (ياكوف) بعينين شاردتين ثم تنهد ، وقال :

— هناك أمور غامضة تحدث في (موسكو) ، لا أفهمها ،
وهذا يثير غضبي .

اعتدل (إيقانوف) ، وظهر الاهتمام في ملامحه وهو يقول :

— أية أمور ؟

نقر (ياكوف) بأصابعه على سطح مكتبه لحظات ، ثم
قال :

— هذا الصباح التقطت أجهزة التصنت في الفندق

الكبير ، حديثًا مثيرًا للريبة ، بين مصرى وزوجته .. ولقد

أصدرت أوامري بتشديد المراقبة عليهما ، ولقد توجَّها إلى شركة

الغلال الغربية ، التي يرأسها هذا الرجل المريب (أندريه

جريج) ، الذي أفسد أجهزة التصنت الخاصة بنا ، ثم غادراها

بعد نصف ساعة فقط ، وبعد مغادرتهم تمامًا ، اتصل بي

(أندريه) هذا ، وأخبرني أنهما ينتميان إلى جهاز المخابرات

المصرى ، وبعد مكالمته بربع ساعة ، اتصل بي أحد رجالنا ،

وقال إنهما تخلصا من المراقبة ، ولم نعد نهتدى لأثرهما .

هتف (إيقانوف) في دُعر :

— يا للشيطان !!

ثم اعتدل في حركة حادة ، وتابع فيما يشبه الصياح :

— إنهما مجاسوسان يا (ياكوف) .. لا مجال للشك .

أوماً (ياكوف) برأسه في هدوء ، وقال :

— أعلم ذلك أيها الرفيق (إيقانوف) ، وأراهنك أنهما ما قدما إلى هنا إلا من أجل (أندريه جريج) هذا .

هتف (إيقانوف) في غضب :

— وهل سنتركهما مطلقى السراح هكذا في

(موسكو) ؟ .. أنت تعلم أن هذا قد يفقدنا منصبتنا .. بل قد

يتسبب في نفينا إلى (سيبيريا) أيضاً .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة شفت عن ذكاء شديد ، وقال

في هدوء :

— لن نفعل يا (إيقانوف) .. إنهما سيعودان إما إلى

الفندق ، أو إلى (أندريه) .. وحتى يفعلنا ، سأصدر أوامرى

بفحص أوراق كل رجل وامرأة في (موسكو) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف في برود :

— وسيكون عليهما أن ينكمشا إلى حجم الباعوضة ، حتى

يمكنهما الإفلات يا عزيزى الرفيق (إيقانوف) .. لقد نسيا أنهما

في (موسكو) .

٥ — خُطَّة الشيطان ..

شهر الجندى السوفيتى مدفعه الرشاش ، في وجه رجل

طويل القامة ، مفتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق

العينين ، تسير إلى جواره حسناء شقراء ، لها عيناان في لون

السماء ، حينما تنعكس صورتها على الثلوج ، وصاح في صرامة :

— أوراقك .

ظهر القلق على وجه الرجل ، وقال وهو يخرج أوراقه في

توتر :

— إننا لم نخطئ في شيء ، أيها الرفيق الجندى .

كان يتحدث بروسية شعبية ، لا يرقى إليها الشك ، ففحص

الجندى أوراقه على عجل ، وناولها إيّاها ، وهو يقول لرفيقته :

— أوراقك أيضاً .

تناول الأشقر من رفيقته أوراقها ، وناولها إلى الجندى ،

الذى فحصها وهو يغمغم :

— اسمك (قولجا) ؟

حدّقت الشقراء في وجهه ، وكأنها لا تفهم ما يقول ، ثم رفعت
عينين حائرتين إلى رفيقها ، الذي ربّت على كتفها في رفق ، وقال
للجندى :

— زوجتى خرساء بكماء أيها الرفيق الجندى ، وهذا مدوّن
في أوراقها .

اطّلع الجندى بسرعة ، على الفقرة التى توضح ذلك في
الأوراق ، ثم ناولها إلى الأشقر ، والتفت إلى مواطن آخر ،
صائحاً بالصرامة نفسها :

— أوراقك .

جذب الأشقر زميلته ، وابتعد بها عن الجندى .. ولم يكذب
يفعل ، حتى زفرت في ضيق ، وغمغمت باللغة العربية :
— يا إلهى !! .. إنها خامس مرة يفحصون فيها أوراقنا خلال
ساعتين فقط .

ابتسم الأشقر ، الذى لم يكن سوى بطلنا (أدهم
صبرى) ، وقال :

— (موسكو) كلها تبحث عنّا يا عزيزتى ، ولكن أوراق
صديقنا البدين (قدرى) تصنع المعجزات .
سألته فى حنق :

— ألم يحن الوقت بعد لتشرح لى خطّتك الارتجالية هذه ؟
هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— إنها ليست خطّة ارتجالية يا عزيزتى ، لقد وضعت
المخابرات المصرية تفاصيل هذه الخطّة بأكملها .. أما عن الزميل
الذى يقيم هنا فى (موسكو) ، فهو رجلنا الدائم هنا ، وهو
الذى أمّن لنا أدوات التكرّر .
سألته فى دهشة :

— ولكن ماذا تقصد الإدارة بهذه الخطّة ، التى اعتبرها
مكشوفة للغاية ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— لقد سقط ذلك الوغد (أندريه جريج) فى الفخ ، دون
أن يدرك يا عزيزتى .. لقد كشفت له شخصيتى ، وأثرت قلقة ،
حتى أنه سيسارع بإبلاغ السلطات السوفيتية عنّا ، وبعدها
نفلت نحن من المراقبة ، ونختفى تماماً فى قلب (موسكو) ..
وهنا لن يكون أمامهم سواه ، وسيعتصرونه عسراً ، فى محاولة
لمعرفة كل ما لديه من معلومات عنّا .. وبطبيعتهم الموروثة فى
الشك ، لن يصدّقوا حرفاً واحداً مما سيدلى لهم به ، خاصة أنه
سيخفى بالطبع السبب الرئيسى لوجودنا .. ومعلوماتهم السابقة

تؤكد أنه لا عداء ، أو حرب باردة بين (مصر) و (روسيا) ؛
لذا فسيحكمون حصارهم حوله ، وسيضيقون عليه الخناق ،
حتى يتسلل الفرع إلى قلبه ، ويحاول الفرار ، ولكنهم لن
يسمحوا له بمغادرة البلاد ، مادمننا لم نظهر بعد ، وهنا لن يكون
أمامه سوانا ، وسيتوسل لنا — حينذاك — أن نعاونه على
الفرار .

استمعت إليه (منى) في دهشة حتى انتهى ، ثم غمغمت :
— يا لها من خُطة !!

وأسرعت تردف في اهتمام :

— وماذا علينا أن نفعل ، حتى يصل إلى تلك المرحلة ؟
هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال في هدوء :

— سننتظر فقط يا عزيزتى .

ثم أمسك يدها ، وقال :

— الزمى الصمت يازميلتى العزيزة .

لم يكذب يدها ، حتى ارتفع صوت جندي سوفيتي آخر ،
يقول في صرامة :

— أوراقك .

استدار (أندريه) إلى رفيقه (هيرمان) ، الذى اقتحم
مكتبه بادی القلق ، وسأله فى توتر :

— ماذا وراءك ؟ .. لم تبدو هكذا ، وكأنك رأيت
الشیطان نفسه ؟

أشار (هيرمان) إلى باب المكتب ، وقال فى دُعر :

— لقد حضر بنفسه إلى هنا .

سأله (أندريه) فى سخرية :

— الشيطان ؟!

هزّ (هيرمان) رأسه نفياً فى قوة ، وقال بصوت غلبه

الانفعال :

— تقريباً .. إنه الرفيق (ياكوف) .

تصلبت أطراف (أندريه) ، وهو يقول فى دُعر :

— الرفيق (ياكوف) ؟!

وفجأة .. دفع (ياكوف) الباب ، وتقدم إلى الداخل ،
وحَدَج (أندريه) بنظرة صارمة ، جمّدت الدم فى عروقه ، وهو

يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً فى هدوء :

— كيف حالك أيها الرفيق (أندريه) ؟

عجز (أندريه) عن النطق لحظة ، ثم خرج صوته من بين

شفتيه شاحباً كوجهه ، وهو يغمغم :

— بخير حال أيها الرفيق (ياكوف) ، بخير حال .
مط (ياكوف) شففيه ، ونظر إلى (هيرمان) ، وهو يقول
في صرامة :

— أريد أن نتحدث وحدنا أيها الرفيق (أندريه) .
أسرع (هيرمان) يغادر الحجرة ، وهو ينتفض ذُعراً ، على
حين دلف (إيفانوف) إلى الحجرة ، وأغلق الباب خلفه ،
فتمتم (أندريه) في رعب :

— لقد قلت وحدنا أيها الرفيق (ياكوف) .
قال (ياكوف) بصوت أشد برودة من ثلوج روسيا في
الشتاء :

— نحن وحدنا أيها الرفيق (أندريه) .
تطلع (أندريد) إلى (إيفانوف) ، الذى انتحى ركنًا
جانبيًا ، وأشعل واحدة من السجائر الروسية ، ذات الرائحة
النفاذة ، وراح ينفث دخانها في هدوء مخيف ، ولكن (أندريه)
لم يجرؤ على الاعتراض ، وابتلع ريقه في صعوبة ، ثم غمغم في
صوت مختنق :

— خيرًا أيها الرفيق (ياكوف) .
جلس (ياكوف) فوق المقعد المواجه لـ (أندريه) وحدد
في عينيه مباشرة ، ثم قال في هدوء :

— هل تعمل في المخابرات الغربية أيها الرفيق (أندريه) ؟
انتفض جسد (أندريه) في ذعر ، وهتف :
— أنا ؟! .. مطلقًا أيها الرفيق .. كيف دارت هذه الفكرة
برأسك ؟ و

قاطعته (ياكوف) في برود :
— كيف علمت بأمر فردى المخابرات المصرية إذن ؟
ارتبك (أندريه) ، وشحب وجهه على نحو واضح ، فهو لم
يكن يتوقع مثل هذا السؤال ، عندما أبلغ (ياكوف) عن
(أدهم) و (منى) ، وزاد من ارتبائه تلك النظرات
الغامضة ، التى كان (ياكوف) يرقبه بها ، كما لو كان ينفذ إلى
أعماقه ، فتلعثم (أندريه) وهو يقول :

— هما اللذان أخبرانى و
قاطعته (ياكوف) مرة أخرى :
— لماذا ؟

ازداد ارتباك (أندريه) وتلعثمه ، وفجأة خيل إليه أنه قد
توصل إلى مخرج ، فهتف :
— لقد أراد اتجنيدى لحساب المخابرات المصرية ، ولكننى
رفضت ، وأبلغتكما عنهما .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (إيفانوف) ، على
حين غمغم (ياكوف) في هدوء :
— هكذا !؟

ثم مال نحو (أندريه) ، وقال :
— هل قدما إلى مكتبك ، وأخبراك في صراحة ، أنهما من
المخابرات المصرية ، وطلبا منك العمل لحسابهما ؟
شعر أندريه بالفخ ، الذي يقوده إليه (ياكوف) في هدوء ،
وزاد هذا من ارتباكـه وجزعـه ، فانكمش في مقعده ، وغمغم :
— هذا ما حدث أيها الرفيق .

ظلّ (ياكوف) يحدّق في عيني (أندريه) لحظة ، ثم نهض
من مقعده ، وشبك أصابع كفيـه خلف ظهره ، وقال :
— حسنا أيها الرفيق (أندريه) .. ستصحبنا إلى الإدارة ،
وتدلى بأقوالك هذه هناك .

ازداد شحوب وجه (أندريه) ، حتى بات من العسير
تمييز ملامحه ، من الثلوج التي تغطي حافة نافذته ،
وغمغم :

— لماذا الإدارة أيها الرفيق ؟

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في صرامة :

— لأنك تكذب أيها الرفيق (أندريه) ، ولدينا في الإدارة
عقارا ممتازا ضد الكذب .
انهار (أندريه) في مقعده ، وسقط رأسه من فوق صدره ،
وغمغم في انكسار :
— سأخبرك بكل شيء أيها الرفيق .. بكل شيء .



٦ - الفشل ..

استمع (ياكوف) في صبر واهتمام ، إلى كل كلمة نطق بها
(أندريه) ، ثم قال في برود :

— أنت ما زلت تكذب أيها الرفيق (أندريه) .

هتف (أندريه) في صوت مختق :

— كيف أيها الرفيق الجنرال .. لقد اعترفت لكم بأننى
أعمل لحساب (سكوريون) ، وأننى كنت أقوم بمهمة تجسس
في مصر حينما سقطت شبكتى هناك في أيدي المصريين ، ونجحت
أنا في الفرار ، وجاء خلفى هذا الشيطان المصرى و

قاطعه (ياكوف) :

— كذب أيها الرفيق .. إنك تضيف صفات أسطورية على
هذا الضابط المصرى ، وهذا يؤكد كذبك .. فما من مخلوق في
أركان العالم كلها ، يمتلك هذه المهارات مجتمعة .

ازداد انكماش (أندريه) في مقعده ، وغمغم :

— ولكنها حقيقة أيها الرفيق الجنرال .

ثم تذكر فجأة أمراً غاب عن ذهنه ، فهتف في أمل :

— إنه الرجل نفسه ، الذى أوقع (إيفان مالاخوف) ،

مدير شرطة (موسكو) السابق ، ونجح في الفرار منكم على
متن واحدة من طائراتكم (الميج) ، وبصحبه سوفيتى يدعى
(أليكسى) (*) .

جاء دور (ياكوف) ليشحب وجهه ، وهو يغمغم في

ذهول :

— كيف وصلت كل هذه المعلومات أيها الرفيق ؟ .. إنها

تدرج تحت قائمة أكثر المعلومات سرية ، ونحن لم نشر إليها
قط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وقال في صرامة :

— يبدو لى أنك شخص أشد خطورة ، مما كنا نتصور أيها

الرفيق (أندريه) ، ولا أعتقد أننا سنتخلى عنك بسهولة .

صرخ (أندريه) في فزع :

— كلاً .. كلاً .. يمكننى أن أعاونكم في القبض عليه .

(*) راجع قصة (الجليد الدامى) . المغامرة رقم (٥) .

تألفت ابتسامة غامضة على شفتي (ياكوف) ، وقال في
بطء :

— ستفعل أيها الرفيق .. ستفعل .

على بعد أمتار قليلة من الشركة الغربية للغلال ، همس
(أدهم) في أذن (منى) :

— يبدو أن أصدقاءنا السوفيت ، قد بدءوا حصارهم
لذلك الوغد .. فهذه السيارة التي تقف أمام شركته تؤكد أن
لديه زائراً يحمل رتبة جنرال على الأقل .

لم يكذ (أدهم) يتم عبارته ، حتى برز وجه (ياكوف)
فجأة من نافذة مكتب (أندريه) ، وصاح في رجال الحراسة ،
الذين يملئون الطرقات ، بكلمات أمرة ، أسرع بعدها رجال
الحراسة يعدون في كل اتجاه ، وغمغم (أدهم) في لهجة تشف
عن القلق :

— يا إلهي !!

سألته (منى) ، التي لم تفهم حرفاً واحداً من كلمات
(ياكوف) ، في دعر :

— ماذا حدث ؟

جذبها (أدهم) من يدها ، وأسرع بها الخطأ ، وهو
يقول :

— لقد أمر هذا الرجل حراسه بالانتشار ، في مساحة
نصف كيلومتر حول الشركة ، وتفتيش كل رجل وامرأة في هذا
النطاق .

هتفت (منى) في فرع :

— ولكن لماذا ؟

قال (أدهم) وهو يزيد من سرعة حركته :

— أعتقد أن (أندريه) قد انهيار سريعاً يا عزيزتي .

تطلّع (إيفانوف) إلى (ياكوف) بعينين ملئهما الدهشة ،
وغمغم في حلق :

— ماذا تعني أوامرك الأخيرة هذه ؟

ابتسم (ياكوف) ابتسامة ، جعلته أشبه بالثعلب ، وقال

في هدوء :

— تعني الكثير أيها الرفيق (إيفانوف) .

ثم أردف في دهاء :

— مادام ضابط المخابرات المصري هذا ينتظر استسلام

(أندريه) فلا بد له من أن يحوم حول شركته معظم الوقت .. ولو أنه حقًا الرجل الذي ذكره (أندريه) ، فهذا يعنى أنه يجيد التحدث بالروسية ، كأحد أبنائها ، ويجيد التكرار إلى نحو مذهل ؛ لذا فالوسيلة الوحيدة للإيقاع به ، هي العثور على المسدسين ، اللذين اغتصبهما من رجل المراقبة .

رفع (إيفانوف) حاجبيه ، وعاد يخفضهما وهو يتسم في إعجاب ، مغممًا :

— أنت داهية أيها الرفيق الجنرال .

ابتسم (ياكوف) ، وقال في هدوء مغرور :

— إنها حرب ثعالب يا عزيزي الرفيق (إيفانوف) .

في اللحظة نفسها كان (أدهم) يث الخطأ ، محاولًا تجاوز منطقة الحصار ، وهو يجذب خلفه (منى) ، ويحاول في الوقت نفسه عدم جذب الانتباه إليهما .. وفجأة .. وفي أثناء دورانه حول أحد المنعطفات ، وجد نفسه أمام بعض الجنود السوفيت ، الذين يقومون بتفتيش المارة ..

حاول (أدهم) أن يعود أدراجه مع (منى) ، ولكنه رأى بعض الجنود يحتلون مدخل الشارع من الناحية الأخرى ، ويقومون بالتفتيش بدورهم ..

غمغمت (منى) في توثر :

— كل أبواب المنازل مغلقة .. لن يمكننا الإفلات .

لم يجيبها (أدهم) على الفور ، ولكن ملامحه نمت عن القلق البالغ ، الذي يعصف بنفسه ، وهو يتلفت حوله بحثًا عن مخرج ، ثم توقفت عيناه عند أحد الجنود ، وهو يقوم بتفتيش أحد المارة ، وغمغم في قلق :

— يا إلهي !!!.. المسدسان .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم تابع في هدوء :

— سيكشف المسدسان أمرنا يا (منى) .

سألته في فرع :

— هل نلقيهما ؟

هز رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

— سيراهما الجميع ، فالثلوج تغطي كل مكان ، وسيبدو

مسدس معدني كنقطة من الحبر الأسود ، على سطح ناصع

البياض .

غمغمت (منى) في يأس :

— لافائدة إذن .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم همس (أدهم) في حزم ،
يشف عن اتخاذ قرار خطير :

— هل تعرفين موقع السفارة المصرية في (موسكو)
يا (منى) ؟

أجابته في دهشة :

— بالطبع .

تنهَّد في ارتياح ، وقال وهو يشد على يدها في قوة :

— ما أن يبدأ القتال ، ابتعدى بسرعة ، وانطلقى فوراً

إلى السفارة المصرية ، واطلبي مقابلة السفير ، وسيتفهم الأمر في
سرعة ، فلقد أبلغته الإدارة بمهمتنا ، كما يقتضى العرف .

هزَّت رأسها نفياً في قوة ، وقالت :

— لن أتركك وحدك .

بدت لها نظراته صارمة مخيفة ، وهو يقول :

— هذا أمر أيتها النقيب .

التفت عيناها بالدموع ، وهي تقول في لهجة أقرب إلى

الضراعة :

— كلاً يا (أدهم) .. أرجوك .

التقط المسدس الثانى من حقيبتها في خفة ، ودسَّه في جيب
معطفه ، وأزاحها عنه في هدوء ، وهو يكرّر :

— هذا أمر ..

غمغمت (منى) ، وهي تشاهده يتعد عنها في خطوات
سريعة ، إلى حيث يقف جنود التفتيش :

— (أدهم) ..

كانت تعلم أنه يضجى بنفسه من أجلها ، ومن أجل مصر .



٧- تحت الصفر ..

تقدّم (أدهم) بخطوات واثقة ، هادئة ، نحو الجنود السوفيت ، وقال لأحدهم في هدوء :

— أفسح الطريق أيها الرفيق الجندى .

رفع الجندى مدفعه الرشاش في وجه (أدهم) ، وقال في صرامة :

— ارفع يديك للتفتيش .

وفي سرعة مذهلة خرجت يدا (أدهم) من جيبي معطفه ، وبسرعة البرق هوت قبضته كالقنبلة على وجه الجندى ، الذى ترنّح ، ودارت رأسه ، وجحظت عيناه وهو يهوى أرضاً ، وتحرك الجنود الآخرون في سرعة ، فاندفعوا نحو (أدهم) من كل صوب ، ومدافعهم الرشاشة مصوّبة إلى جسده ، ولكنه قفز قفزة مذهلة ، غبر بها أجساد أربعة جنود في مواجهته ، وهبط خلفهم ، ثم انتزع من جيبي معطفه المسدسين ، وأطلقهما في آن واحد ..

سبع طلقات دوت متعاقبة ، حتى لقد ظنها الجميع رصاصتين لا غير ..

وطارت المدافع الرشاشة من أيدي الجنود السبعة الذين أجمهم الدهول ، فلم يتحرك أحدهم خطوة واحدة ، حيناً مرق (أدهم) من بينهم ، واندفع يعدو كالصاروخ فوق الثلوج .. أفاق الجنود السبعة من ذهولهم بسرعة ، وعادوا يختطفون مدافعهم الرشاشة ، ويمطرون (أدهم) برصاصاتها ..

شعر (أدهم) برصاصات السوفيت تتأثر حوله ، دون أن تصيبه واحدة منها ، فزاد من سرعة عدّوه ، حتى أقسم البعض أنه تجاوز الرقم الأولمبى الأخير ، على الرغم من الثلوج الزلجة ، التى يعدو فوقها ..

وفجأة .. برز أمامه عدد من الجنود السوفيت ، داخل سيارة جيب كبيرة ، وتوقّف (أدهم) دفعة واحدة ، ورفع مسدسيه في وجه السيارة ، ولكنه انزلق ..

فقد جسده توازنه مع ذلك التوقف المفاجئ وسط الثلوج ، فسقط بينها ، وأفلت أحد المسدسين من قبضته .. ولم يكد ينهض مستعداً لمواصلة القتال ، حتى وجد أمامه خمسة مدافع رشاشة ، يطلّ منها الموت ، وسمع صوتاً صارماً يقول :

— حركة واحدة ، وتحوّل إلى مصفاة .

كانت مواصلة القتال في هذه الحالة يُعدّ ضرباً من الجنون ؛
لذا فقد ابتسم (أدهم) في سخرية ، وألقى المسدس الثاني ، وهو
يقول بالروسية :

— إننى أفضل الاحتفاظ بجسدى كما هو أيها الرفيق .

تناهى إلى سمعه في تلك اللحظة صوت أقدام تقترب منه ،
وفجأة هوى على رأسه شيء ثقيل ، وأظلمت الدنيا أمامه ، ثم
سقط فاقد الوعي .

وشاهدت (منى) — من خلال دموعها — الجنود
السوفيت ، وهم يحملون (أدهم) إلى السيارة ، التى انطلقت
مبتعدة ، فازداد انهمار الدموع من عينيها ، وغمغمت في صوت
متحشرج :

— وداعاً يا (أدهم) .. وداعاً يا (رجل المستحيل) .

— رسالة من (موسكو) يا سيّدى .

نطق المقدم (حازم عبد الله) بهذه الكلمات ، في صوت
تغلب عليه رثّة الحزن والانفعال ، فرفع مدير المخابرات المصرية
عينية إليه ، وسأله في توتر :

— من (أدهم) ؟

هزّ (حازم) رأسه نفياً في هدوء ، وأجاب :

— لا يا سيّدى .. من سفارتنا هناك .

غلب الانفعال مدير المخابرات ، فهتف في لهفة :

— اقرأها بالله عليك .

قال (حازم) ، وهو يعقد حاجبيه جزئاً :

— يقول سفيرنا هناك ، إن النقيب (منى توفيق) قد
حضرت إليه ، ودموعها متجمّدة على وجنتيها ، وأخبرته أن
السوفيت ألقوا القبض على (أدهم) ، وأن المهمة قد فشلت .
غمغم مدير المخابرات في ألم :

— فشلت ؟!

ثم عاد يسأل في لهفة :

— وماذا أصاب (أدهم) ؟

أجابه (حازم) في حزن :

— لا أحد يعلم شيئاً عن مصيره يا سيّدى .. آخر ما رآته
(منى) هو الجنود السوفيت ، وهم يحملونه فاقد الوعي ، إلى
مكان مجهول .

تراجع مدير المخابرات في مقعده ، وبات من الواضح أن
الحزن يعتصر نفسه ، وهو يقول :

— فاقد الوعي !؟

ثم نهض من مقعده ، وسار في الحجرة ، وهو يشبك أصابع
كفيه خلف ظهره ، ومرّت فترة طويلة من صمت ثقيل ، قبل أن
يقول مدير المخابرات في صوت يغلب عليه الحزن :

— اتصل برئاسة الجمهورية يا (حازم) .. لا بدّ لنا من بدء
مفاوضات استعادة (أدهم) على الفور ..

تردّد (حازم) لحظة ، ثم قال :

— ألا ننتظر قليلاً حتى تتضح الأمور يا سيدي ؟

عاد مدير المخابرات إلى صمته دقيقة كاملة ، ثم غمغم :

— لقد عملت سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي عامين ، قبل

أن أتولّى هذا المنصب يا (حازم) ، وأعرف طبيعة السوفيت

جيّداً .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف في صوت حزين :

— ما لم نبدأ التفاوض في الحال ، يمكنك اعتبار هذه آخر

مهام (رجل المستحيل) .

استعاد (أدهم) وعيه في بطنه ، وشعر ببرودة قارصة في
أطرافه ، ففتح عينيه في هدوء ، وطالعه صورة مهتزة ، لم تكد
ملاحظتها تتضح ، حتى تبين له وجه (ياكوف) ، وسط زنزانة
صغيرة عارية الجدران ، لها نافذة واحدة ، تعلو عن الأرض بثلاثة
أمتار كاملة ، وباب صغير من الصلب ، ومصباح ضعيف
الإضاءة ..

ابتسم (أدهم) في سخرية ، على الرغم من الدوى
الشديد ، الذي يعصف برأسه ، وقال بلغة روسية سليمة :

— أهو أنت أيها الرفيق (ياكوف) ؟

عقد (ياكوف) حاجبيه ، وقال في برود :

— أنت تعرفني إذن !! .. من أنت بالضبط ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يعتدل جالساً :

— مندوب من وزارة الزراعة المصرية ، واسمى (أشرف

صابر) .

سأله (ياكوف) في صرامة :

— ولماذا لم تبلغنا السلطات المصرية بقدومك ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— لأنني لم آت في مهمة رسمية .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة شفت عن دهائه ، وهو يقول :
— وهل من عادة مندوبى وزارة الزراعة فى مصر ، التحدث
بالروسية بكل هذه الطلاقة ، ومعرفة رجال مكتب مكافحة
التجسس .
بادله (أدهم) نفس النظرة الباردة ، الصارمة ، وقال فى
هدوء :

— ستثير أزمة دبلوماسية باحتجازى هنا أيها الرفيق
(ياكوف) .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة صفراء ، وقال :
— ومن قال إننا نحتجزك ؟ .. إننا لم نرك منذ وصولك إلى
بلدنا المسالم .. هذا ما سنبغفه لدولتك رسمياً .
ثم أردف فى لهجة ذات مغزى :
— أيها الرفيق (أدهم صبرى) .

ساد الصمت بينهما لحظة ، تبادل فيها نظرات التحدى ، ثم
أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :
— لقد أخطأت نطق اسمى أيها الرفيق (ياكوف) ، فأنا
أدعى (أشرف صابر) .

مط (ياكوف) شففيه ، وقال :

— سنرى أيها الرفيق .

ثم استدار على نحو عسكرى محض ، ودق باب الزنزانة
المعدنى دقة واحدة ، ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال :
— سيملاً رجالى زنزانتك بالماء أيها الرفيق ، وأحذرك أنه
سيجمد على الفور .. فدرجة البرودة تصل اليوم إلى أربعين تحت
الصفر .

فتح جندى سوفيتى يحمل مدفعاً رشاشاً باب الزنزانة ، فى
نفس اللحظة التى استطرد فيها (ياكوف) ، فى لهجة أقرب إلى
الشماتة :

— وعندما نلتقى فى الصباح الباكر ، ستكون أكثر
استعداداً للكلام .

واستدار ليغادر الزنزانة ، وهو يردف :
— هذا إذا بقيت حياً أيها الرفيق .



٨ — الجليد الساخن ..

تحرك مدير المخابرات المصرية من مكتبه بتوثر .. ولم يكذب
يسمع صوت طرقات منتظمة على باب حجرته ، حتى صاح في
لهفة :

— ادخل يا (حازم) .

دلف (حازم) إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه ،
وسأله مدير المخابرات في اهتمام :

— بيم أجابوا ؟

قال (حازم) في ضيق :

— يقولون إن الأمر أخطر من أن يتخذ فيه قرار سريع ..
فستعني أية خطوة من جانبنا أننا متورطون في الأمر ، وسيعطى
هذا فرصة للسوفييت لفرض شروط ، قد تؤدي إلى توتر العلاقة
بين الدولتين .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول في حنق :

— إنها السياسة مرة أخرى .

أجابه (حازم) في صوت خافت :

— إنهم أيضاً يعملون لمصلحة مصر يا سيدي .

غمغم مدير المخابرات :

— أعلم ذلك يا (حازم) .. أعلم ذلك .

ثم أطل من نافذة مكتبه ، وهو يستطرد :

— إننا نتقاضى مرتباتنا من أجل هذا وحده .

استدار (ياكوف) ليغادر زنزانة (أدهم) الصغيرة
العادية ، وحجب بجسده ذلك الجندي ، الذي يمسك مدفعه
الرشاش .. وهنا تحرك (أدهم) في سرعة ..

انقضَّ فجأة على (ياكوف) ، وجذبه من عنقه في قوة ، في
الوقت نفسه الذي تحركت فيه ساقه اليسرى ، وركلت المدفع
الرشاش من يد الجندي .. وقبل أن ينمحي أثر المفاجأة ، كان
(أدهم) قد التقط المدفع الرشاش في يمينه ، وضغط على عنق
(ياكوف) بساعده الأيسر في قوة ، وقال في صرامة :

— إنني لا أنوي قضاء الليل وسط الثلوج أيها الرفيق ،

خاصة بعد أن اختلستم معطفي وقفازاتي .

توقف الجندي مبهوئاً ، مذهولاً ، لا يجرؤ على إتيان حركة

واحدة ، على حين صاح (ياكوف) بصوت مختق ، من أثر ضغط (أدهم) القوى على عنقه :

— هل أصابك الجنون ؟... من المستحيل أن تفرّ من هنا .

قال (أدهم) في سخرية :

— هل تراهن !؟

هتف (ياكوف) :

— مستحيل .. سيكون عليك أن تعبر ممراً طويلاً ، يموج

بعشرات من جنود الأمن ، والخروج من بوابة الإدارة و

ضحك (أدهم) في سخرية ، وشدّد من ضغط ساعده

على عنق (ياكوف) ، وهو يقول :

— لن أفعل ذلك وحدي .

ثم أردف في صرامة :

— ستساعدني على الخروج من هنا أيها الرفيق

(ياكوف) .

صرخ (ياكوف) في حزم :

— مستحيل .. مستحيل .

شدّ جنود إدارة مكافحة التجسس قامتهم ، وصنع صوت



وقبل أن ينمحي أثر المفاجأة ، كان (أدهم) قد التقط المدفع الرشاش في يمينه ..

أقدامهم دويًا في الممر الطويل ، حينما عبره (أدهم) في خطوات واسعة ، وهو يرتدى زى (ياكوف) ويرخى قبعته الرسمية ، لتخفى الجزء الأكبر من وجهه ، وساعده معطف (ياكوف) الثقيل على إخفاء نصف وجهه السفلى .. ولم يكد يصل إلى آخر الممر ، حتى قال في صوت يستحيل تمييزه من صوت (ياكوف) ، وبنفس لهجته :
— نفذوا ما أمرتكم به .

ثم اندفع إلى الخارج ، وتوجّه من فوره إلى سيارة (ياكوف) ، التى فتح سائقها بابها الخلفى فى احترام ، وأسرع يحتل مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، ثم رفع عينيه إلى مرآة السيارة ، وهو يقول فى احترام :
— إلى أين أيها الرفيق الجنرال ؟

لم يكد السائق يتم عبارته ، حتى جحظت عيناه ، وهتف وهو يركّزهما على وجه الرجل ، الذى يبدو واضحًا فى مرآته :
— ولكنك لست

بتر عبارته فجأة ، حينما شعر بفوهة مسدّس باردة ، تلتصق بمؤخرة عنقه ، وسمع صوت (أدهم) يقول فى سخرية :
— إلى أى مكان خارج هذا الحصن البغيض أيها الرفيق السائق .. هذا إذا كنت تفضّل الحياة على الموت .

وبدون تبادل كلمة أخرى زائدة ، انطلق السائق بالسيارة ، حتى مدخل إدارة مكافحة التجسس ، وهناك أوقفه رجال الأمن ، وقال أحدهم فى هدوء :

— أوراقك أيها الرفيق الجنرال .
تناول (أدهم) أوراق (ياكوف) من معطفه ، وناولها لرجل الأمن ، وهو يزيد من إرخاء قبعته ، لإخفاء وجهه تمامًا ، وألقى رجل الأمن نظرة خاطفة على الأوراق ، ثم أعادها إلى (أدهم) ، وغمغم فى اعتذار :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال .. إنها الأوامر .
وأشار بيده ، فانفتح جانباً البوابة ، وأدار السائق محركات السيارة مرّة أخرى .
وفجأة .. اندفع جنديّ من مبنى الإدارة ، وصرخ فى انفعال :

— أوقفوا السيارة ، إنه رجل زائف .
وهنا دفع (أدهم) فوهة مسدّسه فى عنق السائق ، وصاح فى صرامة :

— انطلق .
وانطلقت السيارة كالصاروخ ..

لم تمض لحظات قصار ، حتى اندفعت سيارتان مصفحتان
خلف سيارة (أدهم) ، الذى قفز فى مهارة إلى المقعد المجاور
للسائق ، وصاح به :

— زِدْ من سرعتك أيها الوغد .

هتف السائق فى رعب :

— هذا مستحيل يا سيدى .. ستزلق السيارة على الثلوج

لو فعلت ..

رأى (أدهم) فى مرآة السيارة المصفحتين تقتربان فى سرعة ،

دفع السائق وهو يقول :

— اقفز إذن .

وكأنما كان السائق ينتظر هذه العبارة .. فلم يكذب (أدهم)

ينطق آخر حروفها حتى قفز السائق من السيارة ، وتركها تنطلق
وحدها ..

وفى لمح البصر احتل (أدهم) مقعد القيادة ، وعاد يسيطر

على السيارة وزاد من سرعتها إلى نحو جنونى ، وهو يقبض على
عجلة قيادتها بقبضة كالفولاذ ..

كان الليل قد أرخى سدوله ، وانتشر الجليد كثيرا ، وباتت

القيادة على هذا النحو ضربا من الجنون .. ولكن (أدهم) لم

يتوقف ، ولم يقلل من سرعته قط ، حتى اتسعت المسافة بينه
وبين المصفحتين ، وهنا انحرف فى طريق جانبي ، وأوقف السيارة
فى هدوء ، وقفز منها ، وابتعد فى خطوات سريعة ، حتى غاب
وسط الظلام ..

كان (أدهم) يسير فى سرعة ملفتة للانتباه ، ولكن الرئى
الروسى ، الذى كان يرتديه ، منع جنود الحراسة كلهم من مجرد
الاقترب منه ..

وكان يسير فى اتجاه يعرفه جيّدا ، حتى وصل إلى وجهته ،
وتقدّم من بوابتها فى ثقة ، إلا أن حارس البوابة الروسى أوقفه ،
وسأله فى احترام :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال ، هل لى أن أطلع على
أوراقك ؟ .. أكرّر اعتذارى ، ولكن الأوامر تمنع دخول أى
مخلوق إلى السفارة المصرية ، بعد منتصف الليل .

أطلت من عيني (أدهم) نظرة ، ومال حتى أصبح وجهه
على بعد سنتيمترات قليلة من الجندى ، وقال بالروسية :

— ألا تعرف من أنا أيها الرفيق الجندى ؟

ارتبك الجندى المسكين ، وحاول جاهدا أن يتذكر هذه
الملاح ، ولكنه فشل تماما ، فغمغم فى توثر :

— إنها الأوامر أيها الرفيق الجنرال .

قال (أدهم) في لهجة ، نجح في صبغها بالغضب :

— أنا الذى يصدر هذه الأوامر أيها الرفيق الجندى .

ارتجف جسد الجندى ذعرا ، واعتدل في وقفته العسكرية ،

وهو يقول في احترام :

— عفوك أيها الرفيق الجنرال .

حَدَّجَه (أدهم) بنظرة أخرى صارمة ، ثم عَبَّرَ بَوَّابَةَ

السفارة المصرية بخطوات ثابتة ، مرفوع الرأس .. ولم يكـد

يفعل ، حتى تملَّكه انفعال شديد ، وأطلق من صدره زفرة

قويَّة .. فها هوذا أخيرا فوق أرض مصرية .

٩ — لا أيها الفشل ..

انخرطت (منى) في بكاء شديد ، داخل الحجرة التى

استضافها فيها السفير المصرى ، فى (موسكو) ، وهى تستعيد

كل ذكرياتها مع (أدهم) ..

لم تنكر فى هذه اللحظة أنها تحبه ، فقد كانت تشعر بقلبها

يتمزَّق لفقده ، وبمشاعرها تنهار من أجله ..

كانت دموعها تغطَّى وجهها ، عندما سمعت صوت طرقات

هادئة على باب حجرتها ، فأسـرعت تجفَّف دموعها ، وتقول فى

صوت متحشرج ، من أثر البكاء :

— من الطَّارِق ؟

سمعت صوت السفير يقول :

— هل تسمحين لى بدقيقة من وقتك يا آنستى ؟

قالت فى ضيق :

— بلا شك يا سيِّدى السفير .

دخل السفير إلى حجرتها فى هدوء ، وتطلَّع إلى عينيها

المحمَّرتين ، وسألها فى إشفاق :

— أما زلت تبكينه يا آنستي ؟

عادت الدموع تنهمر من عينيها ، وهي تغمغم في ألم :

— سأبكيه العمر كله يا سيدي .

سألها في هدوء :

— كنت تحبينه إذن ؟!

أجابته في حرارة :

— نعم .. وباليستي أخبرته بذلك قبل أن أفقده .

تسلل إلى مسامعها — حينئذ — صوت هادئ حنون ، يقول :

— ما زالت أمامك فرصة مناسبة يا عزيزتي .

التفتت (منى) بمشاعرها كلها إلى مصدر الصوت ،

وانطلقت من أعماق قلبها صرخة تموج بالدهشة والحنان ،

وهي تهتف :

— (أدهم) ؟!

حاولت أن تلقى نفسها بين ذراعيه ، ولكن مشاعرها

فاضت في أعماقها ، فتفجرت من عينيها دموع غزيرة ، وهتفت

في فرح شديد :

— حمداً لله .. حمداً لله .

غافلت دموعه حنون عيني السفير ، وسالت على وجنته ، حينما

احتوى (أدهم) كفى (منى) في راحتيه ، وهمس في حنان :

— لقد عدت من أجلك يا عزيزتي .

ثم أردف وهو يتسم :

— ما رأيك أن أستغل الفرصة ، وأطلب منك الزواج

منى ؟

هتفت في حرارة ، وهي تملأ عينيها بوجهه :

— إنني أوافق يا (أدهم) .. أوافق في هذه المرة بلا تردد .

اتسعت ابتسامته (أدهم) ، وهمس :

— يا إلهي !!.. هذا هو انتصاري الحقيقي يا (منى)

مسح السفير دموعه ، وصبغ لهجته بالمرح وهو يقول :

— سأعد إجراءات عودتكما إلى القاهرة على الفور و

استدار إليه (أدهم) ، وقاطعه قائلاً :

— ليس بعد يا سيدي .

هتفت (منى) :

— ولكن يا (أدهم)

قاطعها (أدهم) مرة ثانية :

— لن نعود قبل أن نتم مهمتنا يا (منى) .. فأنا لا أميل

للعمليات الفاشلة ، وسنحتفل بزواجنا في القاهرة ، بعد أن

نعود بهذا الوغد (أندريه) بإذن الله .

سأله السفير في اهتمام :

— أنت تنوى الاستمرار إذن ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

— نعم يا سيدي السفير .. سأواصل المهمة حتى النصر .

امتألت ملاح (ياكوف) بالغضب ، وأخذ يدور في أرجاء حجرته كاللث الجريح ، حتى أن (إيفانوف) هتف به :

— اهدأ أيها الرفيق الجنرال .. إنه لم يغادر (روسيا) بعد .

قال (ياكوف) في حنق :

— لن يغادرها إلا جثة هامدة .

ثم استدار إلى (إيفانوف) ، وصاح في حدة :

— هل تعلم أنه أول شخص ينجح في الفرار من إدارة

مكافحة التجسس ؟

واستطرد في انفعال شديد .

— إنها أول مرة أشعر فيها بمرارة الفشل .. ولقد وعدت

الرؤساء بإلقاء القبض عليه ، وإرساله إلى (سيبيريا) قبل أعياد الميلاد .

نظر إليه (إيفانوف) في دهشة ، وغمغم :

— لقد حصرت نفسك في دائرة بالغة الضيق أيها الرفيق

الجنرال .. فستبدأ احتفالات أعياد الميلاد ، بعد أقل من أربعين ساعة .

غمغم (ياكوف) في صرامة :

— إنها تكفيني .

همس (إيفانوف) في حيرة :

— ولكن كيف ؟

اعتدل (ياكوف) ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ،

وصمت لحظة ، ثم قال في حزم :

— سيقودنا إليه (أندريه) .

مال (إيفانوف) نحوه ، وسأله في اهتمام :

— كيف ؟

تطلع إليه (ياكوف) لحظة ، ثم رفع رأسه ، وقال :

— جرت العادة في أعمال المخابرات خارج البلاد ، أن يتم

إبلاغ السفير بنوع العملية ، حرصاً على التموه السياسي في حالة

فشلها ، ولا ريب أن المصريين يتبعون القاعدة نفسها ،
وسنستغل هذا .

عاد (إيفانوف) يسأله في إصرار :
— كيف ؟

تألّقت عينا (ياكوف) ببريق عجيب ، وهو يقول :
— سترى أيها الرفيق .. سترى .



١٠ — العودة ..

اقتحم المقدم (حازم عبد الله) حجرة مدير المخابرات
المصرية ، وهو يهتف في فرح :
— لقد عاد (أدهم) يا سيّدى ، ووصل إلى سفارتنا في
(موسكو) .

قفز مدير المخابرات من خلف مكتبه ، وهتف في فرح
مماثل :
— عاد ؟! .. ياله من رجل !! كنت أعلم أنه لن يستسلم
بسهولة .

ثم أردف وهو يلوّح بكفّيه في انفعال :
— إنه قادر على هزيمة القوات السوفيتية كلها وحده .
هتف المقدم (حازم) في سعادة :
— إنه يطلب الاستمرار في المهمة يا سيّدى .
تلاشى فرح مدير المخابرات بغتة ، وعقد حاجبيه وهو
يغمغم في قلق :

— الاستمرار !؟

غمغم (حازم) ، وقد خفت فرحه بدوره :

— هذا حقّه يا سيّدى .

ظل مدير المخابرات صامتاً بعض الوقت ، ثم غمغم :

— خطأ يا (حازم) .

واستدار إلى (حازم) ، مردفاً في حزم :

— أ برق إليه أن المهمة قد ألغيت يا (حازم) ، واطلب منه

العودة إلى مصر بأسرع فرصة ممكنة .

اتسعت عينا (حازم) ، وغمغم في خيرة :

— ولكن يا سيّدى ..

قاطع مدير المخابرات في حزم :

— هذه الأمور تخضع لاعتبارات كثيرة أيها المقدم ،

وبالنسبة لنا سيكون من المستحيل أن نستمر في تحدى السلطات

السوفيتية ، حرصاً على العلاقة بين دولتنا .

صمت لحظة ، ثم أردف في هدوء :

— سنتخلّى عن (العين الثالثة) ، ولنستعدّ أهم رجالنا ..

(رجل المستحيل) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم في غضب :

— ألغيت المهمة !؟ .. لماذا ؟

مطّ السفير شفّتيه ، وقال :

— لست أدري أيها العقيد .. إنها أوامر إدارة المخابرات

العامة .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وقال في ضيق :

— يمكننا أن نجري محاولة أخيرة على الأقل .

هزّ السفير رأسه نفياً في هدوء ، وقال :

— مستحيل أيها العقيد .. لا يمكنك مخالفة الأوامر .

لوح (أدهم) بكفيه في حنق ، وسمع (منى) تقول في

حنان :

— دَعْنَا نَعُدْ يا (أدهم) .

غمغم في ضيق :

— إننى أكره الفشل يا (منى) .

أرادت أن تهدئ من حِدّة غضبه ، فربّت على كتفه في

حنان ، في نفس اللحظة التى وصل فيها السكرتير الأول

للسفارة ، وقال للسفير في قلق :

— هناك أمريكي ينتظر في قاعة التأشيرات ، ويطلب

مقابلة العقيد (أدهم صبرى) يا سيّدى .

ظهرت الدهشة على وجهى السفير و (منى) ، على حين عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم :

— ما اسمه ؟

أجابه سكرتير السفارة :

— قال إنه يدعى (أندريه جريج) .

تبادل (أدهم) و (منى) والسفير نظرات الدهشة ، ثم أسرع السفير يقول :

— أخبره بأننا لا نعرف من يدعى (أدهم صبرى) و

قاطعته (أدهم) فى اهتمام :

— مهلاً يا سيدي .. قابله فى مكتبك ، وأخبره أننى لست

هنا ، واطلب منه أن يبلغك ما يريد .

هتف السفير :

— ولكن الأوامر

قاطعته (أدهم) :

— سأتحمل النتائج يا سيدي .

كانت لهجة (أدهم) حازمة ، حتى أن السفير صمت

لحظة ، ثم قال :

— حسناً أيها العقيد .. سأقابله .

تلقت (أندريه) حوله فى قلق ، وهو يعبر حجرة السفير ، وصافحه بيد مرتجفة ، ثم قال :

— أين السيد (أدهم صبرى) ؟

أجابه السفير فى هدوء :

— إنه لا يقيم هنا ، ولكنى أعدك بإبلاغه أية رسالة تطلبها .

تردد (أندريه) لحظة ، ثم قال فى همس :

— أريد السفر إلى القاهرة .

ابتسم السفير ، وقال :

— هذا لا يحتاج إلى السيد (أدهم) بالذات .. يمكنك

تقديم طلب و

قاطعته (أندريه) فى توتر :

— لا يمكننى السفر بالوسائل التقليدية يا سيدي .. إننى

أطلب من السيد (أدهم) إخراجى من (روسيا) ، بأية

وسيلة يراها .

غمغم السفير فى سخرية :

— عملية تهريب إذن ؟ .. هذا لا يدخل فى نطاق عمل

السفارة يا سيدي (أندريه) .

ظهر الألم فى وجه (أندريه) ، وقال فى همس :

— هل توجد أجهزة تصنّت هنا يا سيادة السفير ؟

هزّ السفير رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

— مطلقًا .. ولكن ربّما تحمل أنت بعضها .

ظهر اليأس على وجه (أندريه) ، وقال :

— اسمع ياسيّدى .. أبلغ السيّد (أدهم) أننى قد خسرت الرهان ، وسأنتظره فى مكتبى فى السادسة من مساء اليوم .. أبلغه ذلك فقط .

ابتسم السفير فى هدوء ، وقال :

— سأفعل ياسيّد (أندريه) .. كُنْ مطمئنًا .

غادر (أندريه) السفارة على عجل ، فأسرع (أدهم)

و (منى) إلى مكتب السفير ، الذى قال :

— لقد تركت جهاز الاتصال الداخلى مفتوحًا ، ولا شك

أنكما سمعتما الحوار كله .

قال (أدهم) :

— نعم ياسيّدى .. ويبدو أن مهمتنا ستجرح ، بسبب

جبن هذا الرجل .

غمغمت (منى) فى قلق :

— ربّما كانت خدعة يا (أدهم) .

قال فى حزم :

— سأخاطر يا عزيزتى (منى) .

سأله السفير ، وهو يعقد حاجبيه فى توتر :

— هل تعنى أنك ستذهب إليه فى الموعد ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

— بلا شك .. إنها فرصتنا الأخيرة لإنجاح المهمة .

ساد بينهم صمت قلق ، ثم عاد السفير يسأل (أدهم) :

— ولكن كيف ستخرجه من (روسيا) ؟ . إنهم لن

يسمحوا لكم بالسفر ولا ريب .

أخرج (أدهم) من جيبه خريطة للاتحاد السوفيتى ، فردّها

فوق مكتب السفير ، وقال :

— لقد أعدت مخبراتنا خطة الهرب مسبقًا .. فالبلد الوحيد

الذى يمكن اللجوء إليه ، هو (فنلندا) ؛ لذا فبعد استسلام

(أندريه) لنا ، سننّخذ طريق (موسكو) — (ليننجراد) ،

ومن هناك ننتقل صوب الحدود (الفنلندية) .

غمغم السفير فى قلق :

— هذا يبدو سهلاً على الورق أيها العقيد .. ولكن

السوفيت يحيطون حدودهم بستار حديدى ، يستحيل اختراقه .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

— هذا هو تخصُّصى ياسيدى .

غمغم السفير في دهشة :

— تخصُّصك !؟

ابتسمت (منى) ، وهى تقول :

— هذا صحيح .. إنه يُدعى (رجل المستحيل) .



١١ — الفخ ..

جلس (ياكوف) على مقعد (أندريه) ، وخلف مكتبه ،
وقد شبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وأخذ يحرك المقعد في
هدوء ، يُمْنَةً وَيُسْرَةً ، وهو يتطلَّع إلى (أندريه) بنظرات
باردة ، أثارت خوفه ، فغمغم في انكسار :

— لقد نفَّذت أوامرك كلها أيها الرفيق (ياكوف) .

قال (ياكوف) في هدوء :

— المهم أن يحضر هذا الشيطان إلى هنا .

ازدرد (أندريه) لُعباه في صعوبة ، وغمغم :

— سيحضر أيها الرفيق الجنرال ، سيحضر في موعده تمامًا .

ابتسم (ياكوف) ابتسامة باردة ، وقال :

— سيكون هذا من حُسن حظك أيها الرفيق (أندريه) ..

من حُسن حظك بالفعل .

سار (أدهم) إلى جوار (منى) صامتًا ، في طريقهما إلى

شركة الغلال الغربية ، وسألته (منى) في هدوء :

— أما زلت غاضبًا ؟

قال في ضيق :

— إنك لا تطيعين الأوامر أيتها النقيب .. لقد أمرتك بعدم
مغادرة السفارة .

ضحكت وهي تتعلّق بذراعه ، قائلة :

— أنت نفسك تخالف الأوامر ، باستمرارك في المهمة ،
فكيف تطلب مني طاعتها ؟

ابتسم لدعابتها ، وغمغم :

— الأمر بالغ الخطورة يا (منى) ، وربما كان (أندريه)
يخدعنا .

ابتسمت في خجل ، وهي تقول :

— حينئذ سأكون إلى جوارك ، ولن أفقد زوج المستقبل في
سهولة .

رَبَّتْ على كَفِّها في حنان ، وسألها :

— هل تحتفظين في حقيبتك بالمسدس ، الذي أعارنا إيّاه
السفير ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

— إنني أحتفظ به محشّوا ، ومستعدًا للعمل .

بدأت الثلوج تنهمر في غزارة ، فحث (أدهم) الخطأ وهو
يقول :

— أسرع يا عزيزتي .. إنها الخامسة وأربعون دقيقة .

تَبَعَتْه فيما يشبه العدو ، وهي تقول :

— لقد وصلنا تقريبًا ، ونحن نحمل ملاح تنكّريّة جديدة

و

قاطعها بإشارة من يده ، وعقد حاجبيه وهو يتأمل مبنى

الشركة بعين فاحصة ، فسألته (منى) في صوت خافت :

— هل تتوقّع شيئًا ؟

أجابها في هدوء :

— المكان يبدو هادئًا يا (منى) ، ولكن انهمار الثلوج

أخفى كل الآثار المحيطة بالشركة .

عادت تسأله :

— عمّ تبحث بالضبط ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— عن آثار عجلات سيارة عسكرية .

امتلاً صوتها بالقلق ، وهي تسأله هذه المرّة :

— هل تتوقّع فحًا ؟

ابتسم وهو يقول :

— لا بد لي من أن أفعل يا (منى) .

مضت فترة وهما يراقبان المكان ، ثم قال (أدهم) في حزم :

— هيا بنا يا (منى) .

وسارا جنبًا إلى جنب ، وبخطوات واثقة إلى الشركة .

نهض (أندريه) من خلف مكتبه في لهفة ، وأسرع يصافح

(أدهم) في قوة ، وهو يهتف :

— شكرًا لقدومك يا سيّد (أدهم) .. إننى أستسلم ،

وأعلن خسارتي للرهان .

جذب (أدهم) كفه من بين يدي (أندريه) ، وسأله في

برود :

— متى تصبح مستعدًا للخروج من هنا ؟

أجابه (أندريه) في لهفة :

— وقتما تشاء يا سيّد (أدهم) .

ثم أردف في اهتمام :

— وسأعاون المخابرات المصرية بقدر استطاعتي ، اعترافًا

منى بالجميل .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— سيكون ذلك على الرغم منك أيها الوغد .

هتف (أندريه) :

— كما تشاء يا مستر (أدهم) .. كما تشاء .

ثم أشار إلى خريطة للاتحاد السوفيتي ، فوق حائط مكتبه ،

وقال :

— أى طريق سنأخذ في هروبنا يا مستر (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— الطريق إلى (تركيا) .

ابتسمت (منى) بدورها ، وهى تتأملهما من أمام النافذة

الزجاجية ، فقد كانت تعلم أن طبيعة (أدهم) الكتوم ، قد

جعلته يخدع (أندريه) في وصف طريق الهروب .

لاحظ (أدهم) ابتسامتها ، فابتسم بدوره ، ولكن

ابتسامته تلاشت فجأة .. فقد رأى دُعرًا هائلًا يرتسم فجأة في

عيني (منى) ، وهى تحدّق في نقطة ما خلفه ، ثم رآها تنتزع

مسدّسها من حقيبتها ، وتطلق النار .

وفجأة .. انطلقت عدة أعيرة قاتلة من فوهة مدفع

رشاش ، وقفز (أدهم) جانبًا ، ثم اتسعت عيناه في دُعر ،

فقد رأى الرصاصات القاتلة تخترق جسد (منى) ، وراها
تندفع إلى الخلف ، وتحطم زجاج النافذة ، ثم تهوى ، والدماء
تنزف من جسدها الضئيل ، من الطابق الثانى للشركة ، فصرخ
في ألم :

— (منى) !!

ثم استدار فى غضب هائل ، يواجه اثنى عشر من الجنود
السوفيت ، ورشاشاتهم ، وعلى رأسهم الرفيق (ياكوف) .



١٢ — الغضب الرهيب ..

لا أحد فى العالم كله ، يمكنه أن يصف كل هذا القدر من
الغضب ، الذى عصف بنفس (أدهم) ، حينما رأى (منى)
تهوى أمامه من النافذة ..
لقد حوَّله الغضب إلى وحش كاسر ، وضاعف من قدراته
الخارقة عشرات المرات ..
انقض على الجنود السوفيت كالصاعقة ، فحطم فكَّ أولهما
بلكمة كالقنبلة ، وهشم أنف الثانى بأخرى ساحقة ، وشجَّ
رأس الثالث بثالثة ماحقة ..
كانت أطرافه الأربعة تتحرك فى سرعة مذهلة ، وغضب
رهيب ، وتساقط الجنود السوفيت حوله ، كذباب يقتله مبيد
حشرى قوى ، على الرغم من كونه أعزل ، أمام مدافعهم
الرشاشة القويَّة ..
ولكن الغضب الشديد أفقد (أدهم) أهم مميَّزاته ..
الهدوء وحسن التدبير ..

وهوى آخر الجنود بكعب مدفعه الرشاش على رأس
(أدهم) ، ثم تراجع في ذهول ، حينما استدار إليه (أدهم) ،
وعيناه تتدفقان شرراً ، وعاجله بلكمة قوية حطمت أنفه ..
وهنا جمع (ياكوف) قوته كلها ، ووجه لكمة قوية إلى مؤخرة
عنق (أدهم) ..

ترنح (أدهم) في ألم ، ولكن إرادته الفولاذية دفعته إلى
التحرك نحو النافذة المخطمة ، وأطل منها في جزع ، ثم أطلق
حشرة لوعة ، عندما رأى (منى) ممددة وسط الثلوج ، التي
اصطبغ بعضها باللون الأحمر الدموي ..

وهنا هوت على رأسه بضربة أخرى ، سقط بعدها فاقد
الوعي ..

نهض بعض الجنود السوفيت في ذهول ، والتقطوا مدافعهم
الرشاشة ، على حين خرج (أندريه) من تحت مكتبه ، وسأل
في صوت مرتجف :

— هل قضيت عليه أيها الرفيق (ياكوف) ؟

تطلع (ياكوف) إلى (أدهم) الفاقد الوعي ، وغمغم في
دهشة ، لم تفارقه بعد :

— لقد هزمناه ..

قالها وكأنه لا يصدق نفسه ، ثم التفت إلى رجاله ، وقال في
صرامة :

— كبلوه بأغلال حديدية ، واذهبوا به إلى الإدارة ،
ولا تحلوا قيوده حتى أفرغ منه .

أسرع الجنود يحملون جسد (أدهم) ، ويسرعون به إلى
الخارج ، على حين قال (أندريه) :

— لقد عاونتكم أيها الرفيق (ياكوف) .. أليس كذلك ؟
نظر إليه (ياكوف) بعينين باردتين ، وقال :

— ما زلنا نحتاج إليك أيها الرفيق (أندريه) .

شحب وجه (أندريه) على حين أردف (ياكوف) في لهجة
تفوح بالظفر :

— حتى ينتهى إغلاق ملف هذا الشيطان المصرى تماماً .

لم يذق مدير المخابرات طعم النوم دقيقة واحدة ، حتى صباح
اليوم التالى .. وعندما دخل (حازم) إلى مكتبه ، كان يتناول
قدح القهوة الخامس ، ولكنه رفع عينيه إليه في اهتمام ، وسأله :

— هل من برقيات جديدة من (موسكو) يا (حازم) ؟

أوما (حازم) برأسه في بطاء وحزن ، فهتف به مدير
المخابرات في عصبية :

— ماذا تحمل هذه المرة ؟

قال (حازم) :

— لقد خالف (أدهم) الأوامر ، وذهب إلى (أندريه) .

امتقع وجه مدير المخابرات ، وقال في صوت متحشرج :

— وماذا بعد ؟

حرك (حازم) رأسه في حيرة ، وقال :

— لقد اختفى بعدئذ تمامًا يا سيدي .

غاص مدير المخابرات في مقعده ، وغمغم في شحوب :

— اختفى ؟!

ثم أشعل إحدى سجائره في عصبية ، وقال :

— أبرق إلى رجال مكتبنا السري هناك يا (حازم) ،

واطلب منهم جمع كل المعلومات الممكنة .. وبأقصى سرعة .

وأردف في توتر زائد :

— إنه أخطر موقف تعرض له (ن — ١) حتى الآن .

زفر (إيقانوف) في ضيق ، وهو يدخل مكتب (ياكوف) ،

الذي تابعه في لهفة ، وأشعل (إيقانوف) واحدة من سجائره ،

ذات الرائحة النفاذة ، ونفث دُخَانَهَا في حَنَق ، فسأله

(ياكوف) ، الذي لم يعد يستطيع كتمان لهفته :

— هل حصلت على اعتراف كامل منه ؟

مطأ (إيقانوف) شفتيه ، وهز رأسه نفياً ، ثم قال في

جدة :

— مطلقاً .. إنه أكثر من قابلت في حياتي كلها صلابَةً ..

لقد عرضناه للصدمات الكهربائية ثلاث مرّات ، وانتزعنا اثنين

من أظفاره ، وتركنا جروحه تنزف ، بعد أن أغرقناها بالملح ،

ولكنه ظلّ يتسم في سخرية ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

ظهر الغضب على وجه (ياكوف) ، وهتف :

— أثنخوه بالجراح .. احرقوا أطرافه .. المهم أن أحصل على

اعتراف كامل منه .

هزأ (إيقانوف) رأسه نفياً ، وقال :

— لن تحصل منه على كلمة واحدة ، فهو طراز مختلف من

الرجال .. طراز من فولاذ لا ينكسر .

زفر (ياكوف) ، وزجر في غضب ، ثم قال في عصبية :

— ناولني إحدى سجائك .

تطلّع إليه (إيقانوف) في دهشة ، وقال :

— ولكنك تركت التدخين منذ

هتف (ياكوف) في حنق :

— سأعود إليه .

ناولته (إيقانوف) السيجارة ، فأشعلها ، ونفث دخانها ،
ثم قال :

— سأذهب إليه بنفسى .

سأله (إيقانوف) فى لامبالاة :

— وماذا ستفعل معه ؟

صمت (ياكوف) لحظة ، ثم أجاب :

— سأنتزع منه اعترافاً أو .. أو أقتله .



١٣ — بين الأغلال ..

طرق (قدرى) البدين ، مدير قسم التزييف ، باب مكتب
مدير المخابرات المصرية .. ولم يكذ يسمع صوت المدير يأذن له
بالدخول ، حتى دفع الباب ، وتطلع بعينين محمرتين إلى
(حازم) ، ومدير المخابرات ، وغمغم فى صوت شفى عن
آلامه :

— هل وصلت برقية جديدة ، بخصوص (أدهم) و (منى)
يا سيدى ؟

أجابه مدير المخابرات فى صوت حزين :

— نعم يا (قدرى) .

شعر (قدرى) أن قدميه تعجزان عن حمله ، وهو يسأله :
— ماذا حدث ؟

أطرق مدير المخابرات برأسه فى حزن ، على حين أجاب
(حازم) :

— يقول شهود الموقف أن قتلاً عنيفاً قد دار فى مكتب

شركة الغلال الغربية ، وحدث تبادل إطلاق نيران ، سقطت بعده فتاة تنطبق ملامحها على (منى) ، من الطابق الثانى ، وجسدها يدمى إثر رصاصات مدفع رشاش ، وبعدها غادر الجنود السوفيت الشركة ، وهم يحملون جسد رجل تنزف الدماء من رأسه فى غزارة ، وهو فاقد الوعي ، وكبلوه بالأغلال ، ثم حملوا جثة (منى) ، وانطلقوا إلى جهة مجهولة .

اتسعت عينا (قدرى) ، واغرورقتا بالدموع وهو يغمغم :
— جثتها !!؟

اندفعت الدموع من عينيه فجأة ، واهتز جسده البدين فى قوة ، مع نحبيه ، وتطلع إليه مدير المخابرات و (حازم) فى إشفاق ، ثم غمغم المدير فى حزن عميق :

— كنا جميعاً نتوقع هذه النهاية يا (قدرى) .. لقد كانت هذه آخر مهام (أدهم) و (منى) .. إنها نهاية (رجل المستحيل) .

رفع (أدهم) عينيه فى بطاء ، يتطلع إلى (ياكوف) ، الذى وقف يتأمله فى هدوء ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره .. كانت حالة (أدهم) مؤسفة للغاية ، فقد بدت ثيابه رثة ،

وتجمدت على جبهته بعض الدماء ، من جرح عميق فى رأسه ، وبدا ظفراه المنزوعان ملتھين دامين ، على نحو عنيف ، وكان مكبلاً بالأغلال الحديدية ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يتسهم فى سخرية ، وهو يقول :

— كيف حالك أيها الرفيق (ياكوف) ؟
ظلّ (ياكوف) يتأمله لحظة فى تعجب ، ثم أجابه فى هدوء :

— هل تحاول التظاهر بالبطولة ، يا ضابط المخابرات المصرية ؟

بدت ابتسامة (أدهم) شديدة السخرية ، وهو يقول :
— اسمى (أشرف صابر) .. وأنا موظف فى وزارة الزراعة المصرية .

مطّ (ياكوف) شففيه ، وقال :
— لن يفيدك الإنكار أيها الرفيق (أدهم) .
ثم انحنى نحوه ، وأردف فى هدوء :

— لن نسألك عن طبيعة مهمتك فى أرضنا .. سيكفيكنا أن نعرف أنك ضابط مخابرات مصرى .

اكتفى (أدهم) بابتسامته الساخرة ، دون أن ينطق بكلمة ، فاعتدل (ياكوف) ، وقال :

— إنه مجرد إجراء شكلي أيها الرفيق (أدهم) .. فقد أدلى
(أندريه) ، عميل (سكوريون) باعتراف تفصيلي .
صمت (ياكوف) يمنح (أدهم) فرصة للإجابة ، ولكن
(أدهم) استمر على صمته ، واستمرت ابتسامته الساخرة
تزيّن شفّيته ، فعاد (ياكوف) يقول :
— اعترافك سيجنّبك مشقة عسيرة أيها الرفيق المصري ،
وربما اكتفت السلطات بإعادتك إلى دولتك و
قاطعته ابتسامه (أدهم) ، التي ازدادات سخرية ، فقال في
غضب :

— ماقولك أيها الرفيق (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— اذهب إلى الجحيم .

اعتدل (ياكوف) في حدة ، وشفّت ملامحه عن غضبته
العنيفة ، ولكن ملامحه لم تلبث أن استعادت هدوءها ، وهو
يقول :

— لست أنا من سيذهب إلى الجحيم أيها المصري .

ثم أشعل واحدة من سجائر (إيقانوف) ، ذات الرائحة
النفاذة ، وأردف :

— ولكن الجحيم الذي ستذهب إليها جحيم من الثلوج ..

ثلوج تصل برودتها إلى خمسين درجة تحت الصفر .

لم تختف ابتسامه (أدهم) الساخرة لحظة واحدة ، طوال
حديث (ياكوف) ، مما أورث هذا الأخير شعوراً بالحنق ،
فألقي سيجارته بعيداً ، وهتف في غيظ :

— سأرسلك إلى سجن تحيط به القضبان الجليدية أيها
المصري ، سجن لم ينجح سجين واحد في الفرار منه منذ
إنشائه .

زفر في غضب ، ثم أردف في انفعال :

— سأرسلك إلى (سيبيريا) .

وقف (أندريه) يرتجف أمام (ياكوف) ، الذي حدّجه
بنظرات صارمة ، بدت وكأنها تنفذ من جلد (أندريه) ،
وتسلّل إلى أعماقه ، فغمغم في توثر :

— هل تسمح لي بالعودة إلى موطنى أيها الرفيق
(ياكوف) ؟

ابتسم (ياكوف) ابتسامه صفراء ، أثارت رعب
(أندريه) ، وهو يقول :

— هل سئمت بلادنا الجميلة أيها الرفيق (أندريه) ؟

هتف (أندريه) ، وهو يلوح بيده في دُعر :

— مطلقاً أيها الرفيق الجنرال .. مطلقاً .

اتسعت ابتسامة (ياكوف) ، وهو يقول في هدوء :

— سنستضيفك في بلادنا طويلاً أيها الرفيق .

هتف (أندريه) في رعب :

— ماذا تقول أيها الرفيق الجنرال ؟

جاءه صوت (ياكوف) بارداً كالثلج ، وهو يقول في

صرامة :

— سترافق الشيطان المصرى إلى (سيبيريا) أيها الرفيق

(أندريه) .

أطلق (أندريه) صرخة رعب ، وصاح :

— لا أيها الرفيق الجنرال .. أرجوك .. ليس (سيبيريا) .

بدا (ياكوف) أشبه بالشيطان وهو يقول :

— هذا جزاء كل من تسوّل له نفسه العبث ببلادنا أيها

الرفيق .. ستقضى أنت والشيطان المصرى ما بقى من عمريكما

وسط ثلوج (سيبيريا) ، التى لا ترحم أحداً .

١٤ — ختام الجزء الأول ..

تحوّلت مدينة (موسكو) إلى شعلة من الضوء ، عشية عيد

الميلاد ، وتدفّقت أنهار من الفودكا بين السوفيت ، الذين قلّما

يجدون وقتاً للهو والعبث ، فاندفعوا يتصايحون ، ويلهون وسط

الثلوج المنهرة ، احتفالاً بمقدم عام جديد ..

كان الكلّ يلهو في سعادة ، ما عدا رجلاً واحداً ..

رجلاً جلس وحيداً مكبلاً بأغلال حديدية ، داخل عربة

مغلقة من عربات قطار نقل الفحم ، الذى ينهب الطريق إلى

(سيبيريا) ..

رجلاً قامت على حراسته كتيبة كاملة ، من الحراس

المدججين بالسلاح ..

رجلاً كان يلقّب بـ (رجل المستحيل) ..

كان جنود الحراسة يصوّنون إليه مدافعهم الرشاشة طوال

الوقت ..

ولكن الرجل لم يكن يفكر في الفرار ..
كان مستسلماً لمصيره ، وكأن مصرع زميلة كفاحه ، قد
حطّم في أعماقه الرغبة في الصراع ..
لم يعد هو (أدهم صبرى) الذى نعرفه ..
لم يعد ذلك الوسيم القوى ، الذى تنبض عروقه بالحماسة
والثورة ..
بدا وكأنه رجل آخر .. نمت لحيته ، وفقدت عيناه
بريقهما ..
رجل استسلم للقدر ..
القدر المظلم ، وسط سجن من الثلج .. وإلى الأبد .



www.dvd4arab.com

[انتهى الجزء الأول]